

استراتيجية أولمرت بعد «فينوغراد»: عمليات خاصة للردع وضمانة للبقاء السياسي

ومن باب النقد والتقريع، نؤه التقرير إلى أن الحرب الأخيرة دلت على أن المجتمع الإسرائيلي غير جاهز لسقوط عدد كبير في أوساط جنوده في أي مواجهة مع الأطراف العربية، الأمر الذي أدى إلى فشل (إسرائيل) في الحرب، بحيث لم تحقق النصر حتى بالنقاط فيها، بسبب أداء الجيش وقيادته.

القيادة الجديدة للجيش ممثلة بغابي أشكنازي، الذي عُيّن في أعقاب استقالة دان حالوتس أخذت على عاتقها مهمة إعادة ترميم الجيش الإسرائيلي واستعادة قوة ردعه، عبر اتباع سياسة استعراض عضلات في مواجهة لبنان وفلسطين وسوريا وإيران.

قيادة الجيش الإسرائيلي أصبحت معنية بأن تثبت أنها تنتمي إلى طراز آخر من القيادة، تختلف عن القيادة السابقة، من خلال المسارعة إلى تقديم اقتراحات بشن عمليات خاصة جداً ذات صدق وضجيج بشكل خاص، مثل عملية اغتيال الحاج عماد مغنية القيادي البارز في حزب الله في دمشق.

صحيح أن (إسرائيل) لم تعلن حتى الآن تبنيها العملية، لكن كبار المسؤولين فيها أعطوا الانطباع أن المخابرات الإسرائيلية هي التي قامت بتصفيته كأحد استخلاصات حرب لبنان الأخيرة. وبسبب هذا التقرير، فإن قيادة الجيش وأطرافاً هامة في المستوى السياسي الصهيوني باتت ترى أن اجتياح قطاع غزة، وتنفيذ حملة واسعة هناك، يتوجب أن يكون أحد الاستنتاجات الهامة من التقرير. وكما يقول آبي ديختر، وزير الأمن الداخلي الصهيوني، فإن أعضاء لجنة «فينوغراد»، وبخوا بشكل واضح قيادة الجيش لأنها امتنعت خلال حرب تموز/يوليو عن القيام بالكثير من العمليات العسكرية، خوفاً من أن تؤدي إلى إلحاق خسائر في الأرواح في صفوف جيش الاحتلال.

اللافت أن هذا التقرير صدر في ذروة الجدل الذي يحتدم في الكيان الصهيوني حول صورة المعالجة العسكرية التي يتوجب على (إسرائيل) القيام بها، من أجل وقف إطلاق الصواريخ من قطاع غزة. ويتناول هذا الجدل بشكل أساسي

سواء بمحاولة استرضاء هوامش اليمين في ائتلافه الحاكم، أم عبر شنّ عمليات عسكرية تعيد الاعتبار له بشكل شخصي، وللتدليل على أنه بالإمكان الاعتماد عليه، بعد المنّ الكبير بشخصيته وتآكل شعبيته.

المستفيد أولمرت والجيش

مما لا شك فيه أن تقرير «فينوغراد» النهائي وجه صفة مدوية للجيش، عندما قال بالحرف الواحد: إن (إسرائيل) فشلت في الحرب، ولم تحقق النصر حتى بالنقاط فيها، بسبب أداء الجيش وقيادته المثير للإشكال. واستهجن التقرير كيف يعجز الجيش الإسرائيلي، الذي يعتبر الجيش الأقوى في منطقة الشرق الأوسط، عن تحقيق النصر على قوة عسكرية هامشية مثل حزب الله، التي واصلت إطلاق الصواريخ على شمال الكيان حتى اليوم الأخير من الحرب. وخلص التقرير إلى أن قيادة الجيش الإسرائيلي امتنعت عن القيام بالكثير من الخطوات العسكرية خوفاً من وقوع خسائر بشرية كبيرة في صفوف هذا الجيش. وواصل التقرير توبيخه منوهاً إلى أن الجيش الصهيوني تخلى عن مبدأين أساسيين، وهما: التثبت بإنجاز المهمة، والسعي لتحقيق نصر واضح وجلي على العدو.

لا خلاف بين المراقبين في تل أبيب على أنه على الرغم من أن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت قد اجتاز عقبة كأداء عندما لم يطالب بتقرير لجنة «فينوغراد» النهائي، باستقالته، كما كان يُتوقع على نطاق واسع. وإن كان التقرير قد انتقد بشكل واضح الطريقة التي اتخذ بها أولمرت قراراته خلال الحرب، إلا أنه في المقابل برأه من المسؤولية عن فشل الحملة البرية التي شنتها (إسرائيل) في الستين ساعة الأخيرة من الحرب، حيث اعتبر التقرير أن أولمرت وافق على شنّ الحملة لدواعٍ موضوعية، وبعد أن تشاور مع الكثير من رجال الاختصاص. وكانت هذه العبارة التي مثّلت ضربة قوية للمعارضة اليمينية التي ظلت تزعم أن أولمرت أمر بالحملة البرية، في محاولة يائسة لتحقيق نصر لتعزيز مكانته الشخصية، مع العلم أنه في هذه الحملة وحدها قتل ٣٣ جندياً. لكن بشكل عام، ترك تقرير «فينوغراد» أثراً كبيراً على الدولة الصهيونية وسمعة جيشها وقوة ردعه، ومعنويات الجمهور الصهيوني، ناهيك عن تأثيراته على الحلبة السياسية الداخلية. لكن كان واضحاً أن أولمرت الذي أفلت من هذا التقرير قد قرر القيام بكل خطوة من شأنها إطالة عمره السياسي بعد هذا التقرير،

